التراث الأرثوذكسي

ISSN 1814-7038
السنة السابعة عشرة، العدد الثامن، أيار ٢٠٢١

القديس سمعان من ديابابي، مختارات من تعاليمه – ٨

من فيلوكاليا الآباء اليقِظين، دليل آبائي إلى الذكاء

المتقدّم في الكهنة جورج ميتيلينوس، الآباء الكوليفاذس وتحدي التنوير

محور العدد: البندكستاري

أناستاسيوس رئيس أساقفة تيرانا (ألبانيا)، التحرر من الخوف

الأستاذ جورج مانتزاريذس، أحد حاملات الطيب، البشارة الثانية

الأستاذ جورج مانتزاريذس، لقاء المرأة السامرية

الميتروبوليت أوغسطينوس كانتيوتيس، جَلَد المخلّع ومعنى الحياة

الأب سارافيم روز، عيد نصف الخمسين

الأرشمندريت تيخن تشيفكونوف، عظة في أحد الأعمى

القديس سمعان من دياباي

مختارات من تعاليمه - ٨

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

١٤١- كما يزبد الحليب ويرتفع عندما يغلي، كذلك عندما يتفاخر المتكبرون يرتفعون. وكما يمكن أن يفيض الحليب يمكن أن يصبح المتكبرون مُعوَزين.

١٤٢- كارتفاع سنبلة القمح الفارغة، ينظر المتكبر إلى نفسه باستكبار. الأول لا يثمر والآخر قَلِيل الْعَقْلِ.

١٤٣- كما يعتقد الجاهل بأن البحر يلامس أقصى السماء، يعتقد المتكبرون أن عقلهم يمسّ السماء. وبمقدار بُعد البحر عن السماء، بُعد المتكبرين عن الله وعن التواضع.

١٤٤- كما يتبع الحرسُ العظيم الإمبراطورَ، تتبع الملذاتُ الخاطئة الثروة.

١٤٥- تمامًا كما يمسك الرجل حصانًا من مقاليده حتى لا يهرب، يمسك الشيطان الإنسان بمحبة المال حتى لا يخلص.

١٤٦- البخيل يخفي ماله والرجل الحكيم أسراره. الأول حتى لا يحصل خيرٌ لأحد، والثاني حتى لا يصاب أحدٌ بأذى.

١٤٧- كما أن الخُلد الذي يعيش تحت الأرض لا يهتم بالنجوم، لا يكترث الغني الذي يحب المال بعجائب الله.

١٤٨- يصعب سماع الطلقة النارية في الثلج، وعلى المنوال نفسه لا يكاد صراخ الفقراء يُسمع في آذان محبي المال.

١٤٩- بما أن الابن الفاسد لا يكرّم أباه، الرجل الخاطئ لا يكرّم الخالق.

١٥٠- بومة الصيد تبحث عن الخراب، والرجل الحسود يبحث عن بؤس الآخرين.

١٥١- في بَرَد الصيف يمكنك أن تحتمي حتى ولو تحت شجرة، لكن لا يمكنك الهروب من الغضب ولو في الدير.

١٥٢- الثلج يثقل عندما تمطر، وكذلك تكبّر الخطيئة عندما تُرتَكَب عن قصد.

١٥٣- كما ينبح الكلب الشرس حتى على الذين يعرفهم، يدين الحسود حتّى عرّابه.

١٥٤- كما يصعب محوَ المكتوب بالحبر، كذلك من الصعب إنقاص ما تعلّمُه الخطيئة.

١٥٥- عندما نقود قارباً، يجب ألا نأخذ عددًا كبيرًا من الركاب، وعندما نصلّي إلى الله لا ينبغي أن نفكّر في كل أنواع الأمور.

١٥٦- اربط القارب بشكل أكثر أمانًا عندما يكون الجو غائمًا أو ممطرًا، وصلٍّ بجدية أكبر عندما تكون في محنة أو تتعرض لتجربة، حتى لا يدخل الماء إلى قاربك ولا اليأس أن يتغلب عليك.

١٥٧- لا يمكن لساعة اليد أن تعمل إذا لم تُضبَط، ومثلها النفس لا يمكن أن تظل مخلصة ونقية إذا لم تصلٍّ إلى الله. هذه هي الآلية التي تعمل بها الساعة والطريقة التي تعمل بها الطبيعة البشرية.

١٥٨- كما أن فراء الثعلب لا قيمة له في الصيف، الصلاة إلى الله لا قيمة لها إذا كان المرء يكره أخاه.

١٥٩-تُثبّت البراميل في مكانها بواسطة أحزمة قوية، والروح تتقوّى بالصلاة الطاهرة.

١٦٠- ندى الصباح يسهّل الجزّ على المنجل، والرحمة تجلب السعادة للروح عندما نصلي.

دليل آبائي إلى الذكاء

من فيلوكاليا الآباء اليقِظين

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

١. يُدعى الناس عمومًا أذكياء بسبب الاستخدام الخاطئ لهذه الكلمة. ليس الأذكياء هم الذين درسوا أقوال وكتابات الحكماء القدامى، بل هم مَن روحهم ذكية ويقدرون على التمييز بين الخير والشر. فهُم يتجنّبون الشر الذي يضرّ الروح ويهتمّون بذكاءٍ بما هو صالح ويمارسونه وينفعون الروح شاكرين الله العلي. هؤلاء هم وحدهم الذين يجب أن يُدعَوا بشكل صحيح أذكياء.

٢. للإنسان الذكي حقًا اهتمام واحد من صميم قلبه وهو طاعة الله القدير وإرضاؤه. الشيء الوحيد الذي يعلّمه لروحه هو الطريقة الفضلى لفعل الأشياء التي ترضي الله، شاكراً له على عنايته الرحيمة في كل ما يحدث في حياته. لأنه من غير اللائق ألا نشكر الأطباء على علاج أجسامنا، حتى عندما يعطوننا علاجات مريرة وغير محببة، كذلك يكون عدم امتناننا لله على الأشياء التي تبدو لنا مؤلمة، ناتج عن عجزنا عن فهم أن كل شيء يحدث من خلال عنايته لمصلحتنا. في هذا الفهم وهذا الإيمان بالله يكمن خلاص النفس وسلامها.

٣. إن ضبط النفس والوداعة والعفة والثبات والصبر وما شابه ذلك من فضائل عظيمة، هي معطاة لنا من الله سلاحًا لمقاومة ومواجهة الضيقات التي نواجهها، ولمساعدتنا عند حدوثها. لذلك إذا دربنا أنفسنا على استخدام هذه القوى وأبقيناها على استعداد دائم، فلن يكون ما قد يصيبنا صعبًا أو مؤلمًا أو مدمرًا أو لا يطاق، لأن الفضائل التي نمتلكها ستتغلب على الجميع. إن مَن ليست روحهم ذكية لا يفكرون في هذا أبدًا، لأنهم لا يؤمنون بأن كل شيء يحدث لخيرنا، حتى تتألق فضائلنا ويتوجنا الله بسببها.

٤. إذا كنت تعتبر الثروات والتمتع الكامل بها مجرد غرور وهمي قصير العمر، وإذا كنت تعلم أن الحياة الفاضلة التي ترضي الله أفضل من الغنى، فستتمسك بهذه القناعة وتحتفظ بها في ذاكرتك؛ عندها لن تتنهد أو تشكو أو تلوم أحداً، بل ستحمد الله على كل شيء عندما ترى أن رجالاً أسوأ منك يُمدَحون على البلاغة أو سعة الاطلاع والثروة. إن الرغبة النهمة في الغنى والملذات وحب الشهرة والمجد الباطل إلى جانب الجهل بالحقيقة هي أسوأ عواطف الروح.

٥. عندما يفحص الرجل الذكي نفسه يرى ما عليه فعله وما ينفعه، وما هو أقرب إلى روحه ويؤدي إلى الخلاص، وما هو غريب ويؤدي إلى الهلاك. وبهذه الطريقة يتجنب ما يضر الروح كشيء غريب عنها.

٦. بقدر ما يزداد اعتدال الإنسان في حياته تزداد سلامته فلا يكون مشحوناً بالاهتمامات الكثيرة من خَدَم وعمال وأجراء واقتناء ماشية. ولكن عندما نتمسك بمثل هذه الأشياء، نصبح عرضة للاضطرابات الناشئة عنها وتقودنا إلى التذمر على الله. وهكذا، فإن رغبتنا الذاتية (بأشياء كثيرة) تملؤنا بالاضطراب فنروح نتجوّل في ظلمة الحياة الخاطئة دون أن نعرف أنفسنا.

٧. لا ينبغي أن نقول إنه يستحيل على الإنسان أن يعيش حياة فاضلة، مع أن هذا ليس سهلاً. في الواقع، تحقيقه ليس ممكناً للجميع على قدم المساواة. لا يَبلغ الحياة الفاضلة إلا الأتقياء ومَن اقتنوا عقلاً مُحِبّاً لله. العقل العادي دنيوي وغير مستقر. إنه ينتج أفكارًا جيدة وسيئة، وهو متغيّر ويميل نحو الأشياء المادية. لكن العقل المحبّ لله هو جلاّد للشر الذي يأتي على البشر نتيجة إهمالهم المعاند.

Source: ΦΙΛΟΚΑΛΙΑ των Ιερών Νηπτικών - Αρχαγγέλων Τόπος

الآباء الكوليفاذس وتحدي التنوير

المتقدّم في الكهنة جورج ميتيلينوس
نقلها إلى العربية الأب أنطوان ملكي

مقدمة للمترجم

قد لا يشعر الكثيرون بالاهتمام بمحتوى هذا المقال، خاصةً الذين يقرؤون سطحياً، إذ قد لا يرون فيه إلا وصفاً وتحليلاً لحالة في تاريخ اليونان. غالبية ما ينطلق منه الكاتب قائم في تاريخ كل الكنائس. يكفي استبدال عبارة الوطن في قوله "الثنائية الروحية الطويلة الأمد كانت تلتهم جسم الوطن بشكل دائم" بعبارة الكنيسة، فيصير هذا الكلام منطبقاً على كل الكنائس الأرثوذكسية وليس اليونانية فقط، وربّما الأنطاكية أكثر من غيرها. وصف تعزيز اللامبالاة بأنها أذى التنوير الأكثر فظاعة من الإلحاد كلامٌ ينطبق على كل المجتمعات والجماعات بما فيها بلادنا وكنيستنا. ما يصفه المقال بالإبداع اللاهوتي في أعمال الكولّيفاذس التي جاءت كشهادة على الوعي الذاتي الروحي والثقافي، هو شيء نفتقده في كنيستنا. يحاول البعض النبش في المخطوطات والزوايا عن أعمال فلا يجد إلا ما ندر. السبب هو أننا في بلادنا لم نواجه الهرطقات بل سالمناها وحاول بعضنا الانتفاع منها. وإلى اليوم ما زال هناك مَن يعتقد بذلك ويدافع عنه. جمع الفيلوكاليا هي إحدى هذه إبداعات الكوليفاذس، لهذا ما تعرّضت له في بلادنا من استهتار في الترجمة والنشر ليس إلا انعكاساً لهذه الروحية التي تسعى إلى تمييع التقليد عن طريق تحويله إلى مجرد إنتاج أدبي. كما يذكر الكاتب "الانحراف الهرطوقي يسبب دائمًا وعياً وفكراً أرثوذكسيين بشكل مبدِع"، أما عندما تصير الهرطقة وجهة نظر فتصير مواجهتها تعصباً. ألا ينطبق الكلام عن اليونانيين الذين أنهوا دراستهم في أوروبا ونقلوا أخلاقيات أوروبا إلى اليونان على الأنطاكيين الذين درسوا أيضاً في ألمانيا وفرنسا وحتّى اليونان وحملوا إلينا ما حملوا؟

الأزمة التي يعالجها المقال ما كانت لتنشأ لولا أن الشعب يتبنّى عقيدته كأسلوب حياة، فالمسّ بالعقيدة كان مساوياً للمسّ بالشعب. أن تكون أزمة الهوية الوطنية أزمة روحية هو أمر ذو دلالات عميقة لم نعرفها في بلادنا. هذا الكلام لا يصحّ إلا عندما تكون العقيدة شيئاً مُعاشاً. أهمية عيش العقيدة هو أنه ينشئ التقليد الخاص بالجماعة. من هنا أن هذا المقال يساعدنا للتأمّل فعلياً بتاريخ أنطاكية وواقعها، فنصير قادرين على التعويض عن غياب التقليد الأنطاكي الذي نسمع عنه ولكننا لا نعيشه ولا نرى له آثاراً ناشطة في تاريخ كنيستنا.

عرف القرن الثامن عشر مغامرة لقاء جديد بين الشرق الأرثوذكسي والغرب. النقاط الأساسية هي تكرار للعملية المماثلة التي جرت في القرن الرابع عشر. كان فيه الآباء الكوليفاذس (Kollyvades) الآثوسيون خلفاء الهدوئيين في بيزنطية الآفلة، بينما حلّ مكان "اللاتيني اليوناني" برلعام الكاليبري حامل وداعية الوعي "الأوروبي"، ممثلو التنوير اليوناني الرسميون، وغالبيتهم من رجال الدين والرهبان، كما من قبل. هذه كانت مرحلة جديدة من الانقسام القديم على مستوى اليونان، حيث "الثنائية الروحية" الطويلة الأمد كانت تلتهم جسم الوطن بشكل دائم. تُفهم هذه الأزمة الروحية، بشكل صحيح إلى حد ما، على أنها أزمة هوية وطنية. من المهم، مع ذلك، أن جبل آثوس كان من جديد، وهو المكان الأكثر حساسية لقضايا التقاليد، محور الصراع الجديد، حيث صار مقبولاً الآن (أنظر على سبيل المثال ديميتريوس أبوستولوبولوس) أن جبل آثوس، من خلال شخصيات الكوليفاذس، لم يتأثر وحسب بل وجّه أيضًا نضال المركز الوطني في تلك الخيارات التاريخية الحاسمة.

إن حَمَلة التنوير الأوروبي اليونانيين عبّروا عن طريقة حياة قوامها إعادة تفسير جذرية للواقع الاجتماعي بأكمله، على مشارف رؤية جديدة للعالم (Weltanschauung)، مع استزراعٍ فعلي للأفكار والمبادئ والممارسات المنتَجة في الأراضي الأوروبية عبر عملية جدلية طويلة لم تكن معروفة في شرقنا. لم يكن التنوير اليوناني يفتقر إلى الإلحاد ولا إلى الميول المناهضة للمسيحية وفوق كل ذلك إلى معاداة رجال الدين. في الواقع، ما عززته أفكارهم في الضمير الأرثوذكسي هو أكثر فظاعة من "إلحادهم" الحقيقي أو الظاهر، وهو اللامبالاة. من ناحية أخرى، توجد في أعمالهم مواقف معادية للثالوث ووحدة الوجود كما يوجد مواقف تُقَوية (عند كورايس) كان من المستحيل أن لا تستفزّ الضمائر التقليدية، نظرًا لأن هذا كلّه كان جزءًا من قصدٍ، تمّ التعبير عنه بصراحة، لإضعاف الرئاسة الإثنية الرومية بهدف نهائي يتمثّل في تفكيكها. من ثمَّ، عالمٌ جديد غزا الشرقَ الرومي (الأرثوذكسي)، ما كان له أن يغلب من دون الإطاحة بعالم التقليد الأرثوذكسي.

برز الآباء الكوليفاذس كحَمَلَة للتقليد في الشرق، وهم رهبان وكهنة متعلمون مصهورون في الخبرة الهدوئية بعقلية رومية، وبالتالي هم قادرون على فهم الاختلافات الروحية عن العالم الأوروبي. لم يتردد علماء الغرب، كالبروتستانتي غوتليب ناثانيال بونويتش (Gottlieb Nathaniel Bonwetsch) أو الكاثوليكي لويس بيتي (Louis Petit)، في وصف "حركة الكوليفاذس" بأنها "نموذج عن يقظة حياة الأمة اليونانية"، بينما أصر جزء من مفكرينا على ازدراء هذه الحركة بشدة مردّها إلى أن الموقف من الكوليفية هو جزء من الموقف العام من الهدوئية وبيزنطية. لكن اليوم، صار التقييم أسهل مما كان

عليه في الماضي، بسبب التقدم الكبير في تحديد المعايير القديمة التي كانت تنمو وتضغط من الداخل.

بحسب الأستاذ خريستوس ياناراس، فإن الكوليفاذس هم "حركةُ رد فعل على التغريب والتغيير" تكشف "اليقظة اللاهوتية غير المتوقعة في ذلك الوقت والوعي بأولويات الكنيسة الاختبارية". يعبَّر الكولِّيفاذس عن وعي شريحة الجماهير العريضة والقاعدة الشعبية في عصرهم، بوسائل وإمكانيات ذلك العصر، كما أيضًا بسِماتهم الشخصية. ومع ذلك، في الوقت نفسه، يؤكّدون استمرار جبل أثوس كحافظٍ للروح الآبائية. إن ردّ فعلهم على حركة ذلك الوقت، أي "نشأة الكيان الأوروبي [...] أظهر نفاذ بصيرة تاريخي وإدراك مثير للإعجاب." كان تصادم قوى الأمة اليونانية التقليدية مع أفكار التنوير أمرًا لا مفر منه لأنه، كما تمّ وصفه، جرى بين عوالم وأساليب حياة متناقضة تمامًا. على العكس من ذلك، أظهر رهبان جبل أثوس المناهضين للكوليفاذس تعاطفًا مع أفكار التنوير، وركّزوا معارضتهم على التقليد الهدوئي، ما جعلهم أقرب إلى التنوير. إن رفض بعض رهبان جبل أثوس للممارسات الهدوئية شكّل للكوليفاذس، وبوجه دقيق دليلًا ملموسًا على عواقب التوافق مع الأفكار الجديدة لأوروبا والاغتراب الوشيك.

وهكذا طورت حركة التنوير ديناميكية قوية في الوعي التقليدي للأمة اليونانية، وفي الواقع لم يكن غير سلبي وحسب بل إيجابياً أيضًا. بتعبير آخر، لم يؤدِّ التحدي فقط إلى تناقضات وحسب، كانت في كثير من الحالات قاحلة وضارة، بل أيضًا إلى عمل إبداعي من إنتاج أدبي وأعمال رعائية لإحياء الروح الآبائية في حياة الجسم الكنسي. الحق يُقال أن زعماء الكوليفاذس (ماكاريوس نوتاراس، نيقوديموس الأثوسي، أثناسيوس باروس) لم يعارضوا الحداثة كإيديولوجيا مضادة، بل هذا كان سببًا ليقظة وجودية على احتياجات الإنسان الأساسية، كما تنيرها روح جماعة (ethos) آباء التقليد الكنسي وخبرتهم". إن أعمال الكولِّيفاذس رافقت الإبداع اللاهوتي المواجه للهرطقات، وقدمت شهادة على الوعي الذاتي الروحي والثقافي، والتي لم تكن لتبصر النور كمنشورات في ظل ظروف أخرى. في آخر الأمر، هذا كان السبب المولّد لتشكيل اللاهوت في الكنيسة على مدى القرون. الانحراف الهرطوقي يسبب دائمًا وعياً وفكراً أرثوذكسيين بشكل مبدِع. هذا ما حدث أيضًا في تقليد الكوليفاذس. في الواقع، كشفت حملتهم المناهضة للتنوير، على الرغم من إخفاقاتها والمبالغات فيها هنا وهناك، عن استمرار الخبرة الآبائية الأرثوذكسية في أوقات كان الحضور اللاهوتي الأرثوذكسي ضعيفًا للغاية. لقد طوّر الكوليفاذس معارضتهم لممثلي التنوير على أساس فكرة أساسية نقاطها الرئيسية هي التالية:

أ) أوروبا: تحدث التنويريون اليونان، وأوّلهم أدامانتيوس كوراييس، بفخر عن "أوروبا المستنيرة"، التي نقلوا "أضواءها" إلى الأمة اليونانية. إن التوجه نحو أوروبا كان رؤية دائمة عند الاتحاديين لعدة قرون، أدى إلى نشوء "متلازمة الأورَبَة (Europeanization)" في الهلينية الحديثة التي جعلت أوروبا "حاضرتها العالمية". لقد كان الكولّيفاذس مخلصين لتقليد مناهضي الاتحاد، من هدوئيي القرن الرابع عشر إلى الأب كوزماس الأيتولي في القرن الثامن عشر، لهذا لم يكن في موقفهم تجاه أوروبا أي ابتكار. لقد رفضوا أيضًا أوروبا ما بعد الانشقاق، نافين عنها أي علاقة بالتقليد الآبائي لاهوتيًا واجتماعيًا، رافضين أي إمكانية لإعادة ولادة الأمة بأنوار أوروبا. غالبًا ما يستخدم الكوليفاذس مصطلح "فرنسا" أو "فرنجة" للتعبير عن الغرب المتفرنج بكليّته. نيقوديموس وأثناسيوس باروس، الذي اعتمد أسلوباً أكثر منهجية ولأسباب خاصة، اقترحا وقف جميع العلاقات مع أوروبا لأن طريقة الوجود التي أوجدتها تفسد ترتيب (تشقلب) الروح الأرثوذكسية.

ب) التربية: اعتبر التنويريون اليونانيون "الفلسفة الجديدة" جوهر التربية المنقّحة، التي فضّلوها للأمة اليونانية وتقدمِها. إن وعي الكوليفاذس في ما يتعلق بـ "الفلسفة الجديدة" حدّد أيضًا موقفهم تجاه التعليم الأوروبي المستورَد. في أعمالهم ذات الصلة، لا سيما عند أثناسيوس باروس، يؤيدون التعليم الذي يقوم على تقليد أجدادهم، بالطبع بحسب فهمهم له. نقطة انطلاقهم، بغض النظر عن مقدار السعي إلى الدوافع الأخرى، هي في الأساس أيضًا تكرار هدوئي آبائي للموقف المماثل الذي تبنّاه القديس كوزما الإيتولي. كما ميزوا أيضاً بين المعرفتين / الحكمتين، التي من "فوق" وتلك "الخارجية" ووضعوا حدودهما. تتطلب الحكمة "التي من فوق" المشاركة الآبائية الكونية للإنسان. جدال أثناسيوس باريوس ضد العلماء لا يعني رفضهم لأنفسهم وبأنفسهم، بل يعني رفض أن يضع الناس رجاءهم الوحيد فيهم. ومن الذين جسّدوا هذا التقليد أيضًا القديس غريغوريوس بالاماس، النموذج الروحي للكوليفاذس. لهذا لجأوا إلى "العلوم" في أعمالهم، ولكن بهدف التقدّم نحو المزيد من الإثبات الروحي. بيان أثناسيوس باريوس واضح: "الحكمة الخارجية بطبيعتها ليست سيئة ولا جيدة، لكنها تصبح جيدة أو سيئة بناءً على كيفية استخدامها من قبل الذين يمتلكونها". إذاً، مشكلة الكوليفاذس التقليديين ليست الحكمة بل الحكيم. وهذا يشمل رفض أثناسيوس باريوس لنظام كوبرنيكوس، وغيره أيضًا. المواقف الأصولية (على سبيل المثال اعتبار الكتاب المقدس مُطلَقاً أو العبارات من نوع "الرياضيات هي مصدر الإلحاد" تُفهَم في هذا السياق وتعود إلى غطرسة العلماء ذوي العقلية الأوروبية والتي هي مشكلة دائمة في المجتمع اليوناني حتى الزمان الحاضر)، فإن ما يسمى بالتعارض بين الإيمان والمعرفة (العلم)، وهو مشكلة زائفة عند الأرثوذكسية واعتراف بأولوية العلم مبرراً بالعقل، يكمن في خلفية موقف التنوير والعدوانية المناهضة للتنوير.

ج) تعزيـز النمـاذج: بمقابـل نمـاذج "حكمـاء" العـالم الـتي روّج لهـا التنـوير، ردّ الكوليفـاذس الآبـائيون مقترحين كنموذج حكيمَ التقليد الرومي أو القديس، أي الإنسان المتقـدّس أو الإلـه-الإنسـان "بالنعمـة". هكذا، تمّ التغلب على المواجهة الأيديولوجية والتعامل مع المشكلة على مسـتوى الوجـود الحقيقي في المسيح. هذا هو سبب إلقـائهم كـل ثقـل مسـاهمتهم اللاهوتيـة والرعائيـة على العبـادة الـتي هي الفُلـك الثابت للأمة اليونانية أثناء العبودية. إنهم يؤكّـدون على أهميـة الحيـاة الليتورجيّـة الـتي تتكـوّن فيهـا الروحية الإفخارسـتيّة عنـد الجسـم الكنسـيّ. ليس مفاجئـاً إذن أن تكـون معظم كتابـاتهم مكرسـة لهـذا الموضوع الذي يشمل: منشورات آبائية تركّـز على غريغوريـوس بالامـاس وسـمعان اللاهـوتي الحـديث الذي أسس نهضـة هدوئيـة في القـرن الحـادي عشـر؛ نشـر نصـوص آبـاء الصـحراء (حكمـة الصـحراء) ، نصوص ذات طابع ليتورجي (عظات، خِـدَم، سـير قديسـين، مـدائح) وفـوق كـل ذلـك الفيلوكاليـا. هـذه الأخيرة إذ تقدّم تجربة نسك الأرثوذكسية اليقِظ، صـارت الغـذاء الـروحي لجميـع البلـدان الأرثوذكسـية والسلافية ومعيارًا للاهوتنا الحديث، بكونها "شهادة اختبارية على الأصالة الكنسية". كـان خريسـتوس ياناراس محقًا تمامًا عندما كتب أن نشر كتاب الفيلوكاليا يمثّـل "تحـديًا في المواجهـة بين حضـارتين". "من جهـة، جنـون 'التطـور' ، الـذي يسـتوثن بانتصـار الاكتفـاء الـذاتي البَشَـرِيُّ التَّمَرْكُـز الأجـفّ والأشـدّ والاكتفـاء الـذاتي من الطبيعـة الفانيـة [...]، ومن ناحيـة أخـرى، أولويـة البحث عن الحقيقـة وليس عن المصلحة".

د) الرؤية المجتمعية القومية: كانت الأخلاقيـات المسـيحية (Χρηστοήθειες) إحـدى الوسـائل الرئيسـية لتشكيل المجتمـع الأوروبي، والـتي حـددت روحيـة المجتمـع الجديـد، أي "العلاقـات بين الأفـراد وبين الجنسين". إنها "دلائل على السلوك الحسن" للمواطن ، "كيـف يجلس، كيـف يأكـل، وكيـف يتحـدث...." هـذه العقليـات غـزت المجتمـع اليونـاني من خلال مختلـف القنـوات وخاصـة اليونـانيين الـذين أنهـوا دراستهم في أوروبا نقلوا هذه الأخلاقيات إلى اليونان. يقول الراحل قسـطنطين ديمـاراس مشـيراً إلى العواقب: "كل شيء يظهِر أن تغييرًا عميقًا قد حدث في تشكيل المجتمع اليونـاني... المحبـة التقليديـة لما هو حسنٌ وجميل تمرّ بمحنة، إلى أن يتمّ استيعاب ما هو جديد بينما يتم إهمال القديم". إنه تحـدي أوروبا للمجتمع. في هذا السياق، لا ينبغي أن ننسـى أن البنيـة التحتيـة لتشـكيل المجتمـع الأوروبي مـا بعـد شـارلمان هي لاهوتيـة، كمـا أن خلفيـة المجتمـع الـرومي هي أيضًـا لاهوتيـة، أي كنائسـية. يختـبر الكوليفاذس هذا الأمر كـونهم شخصـيات كنسـية ولاهوتـيين. وهـذا هـو السـبب في أنهم يجمعـون في جهودهم بين تجديد التقليد اللاهوتي والنموذج الاجتمـاعي الأرثوذكسـي الراسـخ، الـذي يقـدّم الشـركة الرهبانية ويغرس العبادة في الضـمير. هكـذا الروحيـة الاجتماعيـة الأرثوذكسـية تتعـزز، بعـد الممارسـة

الأرثوذكسية نفسها، وهي تربط مجتمع العبادة بـ "الليتورجيا بعد الليتورجيا"، وهو الأمر الذي يعبّر عنه "الاحتفال" الكنسي بشكل كامل من خلال ازدواج جوانبه، في داخل الكنيسة وخارجها. ومع ذلك، فإن أخلاقيات القديس نيقوديموس المسيحية تأتي لتغطية القضية من الناحية النظرية. إن مراجع المؤلف بالطبع ليست تُقَوية، بل آبائية وخاصّة بسير القديسين. لذا، فهي ليست من أجل "قواعد" أخلاقية، بل من أجل خبرة روحية مقدسة. القديس، إذ ينغّص بروحه النسكي الذين تدهرنوا في الفضاء الكنسي، يقدّم الروحية الأرثوذكسية الآبائية الأصيلة كطريقة للوجود الكنسي. برأيي المتواضع، يجب أولاً وقبل كل شيء أن يؤخذ بعين الاعتبار عمل الكوليفاذس السياسي، ولا سيما أثانسيوس باريوس. إنه النتيجة النهائية لرفض أوروبا ليس فقط أيديولوجياً بل أيضًا إجتماعياً. إن تعليلهم النظري يصادق على هذا الموقف. إن "التبشير بالعبودية" في ظل الحكم العثماني أو "العبودية الطوعية المعللة علميًا" كانت لتكون مؤاتية لو لم يتلهّوا بما أضافه باسيليوس مكريديس: "لحماية الأرثوذكسية من خطر الغرب". ربما لهذا السبب تكون "الحماية الذاتية" أفضل وأكثر واقعية من مصطلح "العبودية الطوعية". مَن يعرف الخطط الأوروبية، وخاصة الفرنسية، للنظام الإثني الرومي في ذلك الوقت، يعرف أن معاداة الكوليفادس لأوروبا ليست بالضرورة تأييداً لتركيا. إن تزامن تطابق الكوليفاذس مع الأهداف المباشرة للسياسة العثمانية حقيقة لا جدال فيها، لكنها هنا متطابقة تمامًا مع موقف الشهيد القومي القديس كوزما الإيتولي، الذي اعتبر النير العثماني معروفًا إلهيًا للعرق اليوناني على أساس موقف أوروبا من الأرثوذكسية. يجب أن يقبل البحث عن تفسير هذه الأمانة الثابتة لتقليد اليونانيين. ومع ذلك، فإن مراجعته تحوّل العلم تلقائيًا إلى سياسة. اقترح أثناسيوس باريوس اعتبار ضحايا الإسلام مثل شهداء الكنيسة الأوائل أو تكريم الشهداء الجدد كقديسين دون موافقة الكنيسة الكبرى. ينبغي اعتبار هذا الاقتراح "مقاومة" عملية لسلطة "ضد المسيح"، الذي كان القديس كوزما يرى أنه السلطان العثماني.

في الختام:

١. إن المواجهة بين الكوليفاذس والتنويريين هي تعارض عالمين مختلفين و"رؤى سياسية"، كنسختين متنافيتين للهلينية. إن اختيار الوسيلة في هذا النضال ليس بنفس أهمية النضال نفسه الذي يكمن وراء الضمائر.

٢. يفترض تقييم موقف الكولِيفاذس إمكانية فهم أهمية الأرثوذكسية بالنسبة لهم، ليس كأيديولوجيا دينية أو تأمل ماورائي، ولكن كطريقة للوجود تقود إلى التقديس الذي هو الوجهة الأرثوذكسية الوحيدة للإنسان، تاريخياً وما بعد التاريخ. من الضروري أيضًا معرفة لغتهم، وهي ليست مجرد اليونانية، بل اليونانية الكنسية لتجنب المزيد من سوء الفهم.

٣. هكذا يُفهم ثبات الكوليفاذس في تقليد اليونانيين، معبراً عنه بالبديهية الكتابية: " لاَ تَنْقُلِ التُّخْمَ الْقَدِيمَ الَّذِي وَضَعَهُ آبَاؤُكَ" (أمثال ٢٢:٢٨).

٤. أخيرًا، يجب أن يُعزى سوء الفهم في النهج التفسيري عند الكوليفاذس إلى تطبيق المعايير الغربية (السياسية - الاقتصادية، أي المادية) وليس معاييرهم (الروحية). إنه خطأ يحاول البحث العلمي اليوم تصحيحه، بالطبع حين يحرر نفسه من ثقل الماضي الضاغط.

Source: Πειραϊκή Εκκλησία, Ιούνιος 2009. Η ΑΛΛΗ ΟΨΙΣ. https://alopsis.gr/η-πρόκληση-του-διαφωτισμού-και-οι-κολ/

التحرر من الخوف

أناستاسيوس رئيس أساقفة تيرانا (ألبانيا)

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

"لاَ تَخَافَا" (متى ١٠:٢٨).

قال ملاك الرب: "لا تخافا" للمرأتين اللتين حملتا المرّ وقد أخذتهما الرعدة والدهش عند القبر الفارغ "لاَ تَخَافَا أَنْتُمَا، فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكُمَا تَطْلُبَانِ يَسُوعَ الْمَصْلُوبَ. لَيْسَ هُوَ ههُنَا، لأَنَّهُ قَامَ كَمَا قَالَ!" (متى٢٨:٥-٦). بعد ذلك بقليل، قال لهنّ المسيح القائم من الموت " لا تخفْنَ". بعد ذلك، شدد لدائرة تلاميذه المغتمّين الخائفين: "مَا بَالُكُمْ مُضْطَرِبِينَ، وَلِمَاذَا تَخْطُرُ أَفْكَارٌ فِي قُلُوبِكُمْ؟" (لوقا ٢٤:٣٨). أظهر لهم آثار الصلب على يديه وقدميه، وبالتالي أكّد بحضورِه حدث قيامته الخارِق.

'لا تخافا'. عبر العصور، أعلنَت رسالة القيامة التحرر من كل أسباب الخوف. انتصارُ المسيح حطّم سيادة القوى الشيطانية، وسدّ الفجوة بيننا وبين الله وأعاد علاقتنا. الرسول بولس أعلن الأهمية الوجودية للصليب والقيامة بطريقته الفريدة. يسوع صار إنساناً وقَبِل الآلام "لِكَيْ يُبِيدَ بِالْمَوْتِ ذَاكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ، أَيْ إِبْلِيسَ، وَيُعْتِقَ أُولئِكَ الَّذِينَ خَوْفًا مِنَ الْمَوْتِ كَانُوا جَمِيعًا كُلَّ حَيَاتِهِمْ تَحْتَ الْعُبُودِيَّةِ" (عبرانيين٢:١٤-١٥). المسيح القائم هو "الْبَدَاءَةُ، بِكْرٌ مِنَ الأَمْوَاتِ، لِكَيْ يَكُونَ هُوَ مُتَقَدِّمًا فِي كُلِّ شَيْءٍ." (كولوسي ١:١٨). مع قيامة المسيح، بدأ شكل جديد من الوجود بالنسبة لنا. إن تأكيد قيامة المسيح، والإيمان بأنه قد أُعطي "كل سلطان في السماء وعلى الأرض" (متى ٢٨:١٩) حرّر تلاميذه من كل أنواع الخوف والقلق، وحوّلهم إلى مبشرين أشاوس شجعان بالحياة الجديدة في المسيح.

'لا تخافوا'. في الزمان الحاضر، تضاعفت المخاوف التي تهدد حياتنا بشكل كبير. وقد تفاقمت في الآونة الأخيرة بسبب الفزع العام الناجم عن الأزمة الاقتصادية العالمية. المخاوف القديمة والجديدة تثير أفكارنا وتسحق قلوبنا. في هذا الجو الجائر، عيد القيامة هو دعوة لجميع المؤمنين للشروع في طريق التحرر من الخوف.

من الخوف من الذين يعادوننا؛ من الخوف الناجم عن ظلم وقسوة مجتمعنا؛ من الخوف من الخطيئة المتعددة الأوجه التي تتسلل إلى كياننا وتصادره؛ من الخوف من الألم والعوز والمرض والوحدة ومن الأخطار والآلام التي تهدد حياتنا؛ من الخوف من مشاكل الحياة اليومية الملحّة؛ من الخوف من المجهول والفشل وعدم اليقين بشأن المستقبل. وتتويج رسالة قيامة المسيح هي التحرر من الخوف من الموت، خوفنا وخوف أحبائنا، وهو الخوف الذي يسحق الحياة البشرية. لا يقتصر عيد القيامة على إعلان الحرية التي منحنا إياها المسيح، ولكنه يدعونا أيضًا للمشاركة في هذه الحرية.

بالطبع، هذه الحرية تعتمد على الإيمان. عندما تصرخ الكنيسة بصوت عالٍ مسبّحةً "المسيح قام"، هي لا تلجأ إلى الحجج لإقناع حقيقة ما تعلنه. ما يعتقده كثيرون! "طوبى للذين يؤمنون...". بطبيعة الحال، هذا مشروط بأننا ثابتون في الإيمان متأسسون وراسخون: " وغَيْرَ مُنْتَقِلِينَ عَنْ رَجَاءِ الإِنْجِيلِ" (كولوسي ١:٢٣).

إن قيامة المسيح تبدد الخوف لأنها تتضافر مع قوة مذهلة وخاصة في عيد الأعياد (الفصح)، لذا نحن مدعوون للشعور " مَا هِيَ عَظَمَةُ قُدْرَتِهِ الْفَائِقَةُ نَحْوَنَا نَحْنُ الْمُؤْمِنِينَ، حَسَبَ عَمَلِ شِدَّةِ قُوَّتِهِ، الَّذِي عَمِلَهُ فِي الْمَسِيحِ، إِذْ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ، وَأَجْلَسَهُ عَنْ يَمِينِهِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ، فَوْقَ كُلِّ رِئَاسَةٍ وَسُلْطَانٍ وَقُوَّةٍ وَسِيَادَةٍ، وَكُلِّ اسْمٍ يُسَمَّى لَيْسَ فِي هذَا الدَّهْرِ فَقَطْ بَلْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ أَيْضًا" (أفسس ١:١٩-٢١).

إن هذا التحرر من الخوف هو هبة من الرب القائم من بين الأموات ويجب أن يغيّر موقفنا من الحياة: "فَإِنَّكُمْ إِنَّمَا دُعِيتُمْ لِلْحُرِّيَّةِ أَيُّهَا الإِخْوَةُ" مع الإضافة الواضحة "غَيْرَ أَنَّهُ لاَ تُصَيِّرُوا الْحُرِّيَّةَ فُرْصَةً لِلْجَسَدِ، بَلْ بِالْمَحَبَّةِ اخْدِمُوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا." (غلاطية ٥:١٣).

بتضحيته على الصليب وانتصار القيامة، أعلن المسيح، أقنوم محبة الله المتجسد، عن قوة المحبة الفريدة التي تحررنا من كل أشكال الخوف. إن الذين يتحدون معه في الإيمان والمحبة يستطيعون أن يختبروا الحقيقة التي كشف عنها القديس يوحنا الإنجيلي: " لاَ خَوْفَ فِي الْمَحَبَّةِ، بَلِ الْمَحَبَّةُ الْكَامِلَةُ تَطْرَحُ الْخَوْفَ إِلَى خَارِجٍ لأَنَّ الْخَوْفَ لَهُ عَذَابٌ. وَأَمَّا مَنْ خَافَ فَلَمْ يَتَكَمَّلْ فِي الْمَحَبَّةِ" (١ يوحنا ٤:١٨).

إخوتي وأخواتي، في هذا الوقت الحاضر على وجه الخصوص، فلنتمتع بالحرية من كل أشكال الخوف ونعمّق إيماننا ومحبتنا للمنتصر على الموت ورب حياتنا مذكّرين إخوتنا الخائفين بأن "المسيح قد قام!"

أحد حاملات الطيب، البشارة الثانية

الأستاذ جورج مانتزاريذس

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

يُقام في يوم أحد حاملات الطيب عيد آخر أكبر: عيد البشارة الثانية للسيدة العذراء. عيد بشارتها كأم الخليقة الجديدة، كأم أبناء القيامة.

يلاحظ القديس غريغوريوس بالاماس أن قيامة المسيح هي قيامة الطبيعة البشرية واستعادة آدم القديم إلى الحياة الأبدية غير الفاسدة. وكما أن أول شخص رأى آدم القديم كان امرأة أي حواء، فإن أول مَن رأى آدم الجديد، المسيح، بعد قيامته التي جددت الطبيعة البشرية، كانت أيضًا امرأة. هذه المرأة لم تكن مريم المجدلية، بل السيدة العذراء، كما يتّضح من مقارنة تفصيلية لتكوين روايات القيامة في الأناجيل الأربعة، وهو تحليل قام به في الواقع القديس غريغوريوس بالاماس.

نقرأ في نهاية إنجيل مَرقُس: "وَبَعْدَمَا قَامَ بَاكِرًا فِي أَوَّلِ الأُسْبُوعِ ظَهَرَ أَوَّلًا لِمَرْيَمَ الْمَجْدَلِيَّةِ، الَّتِي كَانَ قَدْ أَخْرَجَ مِنْهَا سَبْعَةَ شَيَاطِينَ" (٩:١٦). لكن الإنجيلي نفسه الذي ذكر هذا كأول ظهور للمسيح كتب قبل ذلك بقليل في روايته، في المقطع الذي يُقرأ ليلة عيد الفصح، أن مريم المجدلية ومريم [أم] يعقوب (أي سيدتنا) وسالومي اشترين الحنوط وجئن إلى القبر "بَاكِرًا جِدًّا" (٢:١٦).

إذاً، ظهور المسيح لمريم المجدلية لم يحدث "باكراً جدًا" بل "باكراً" وحسب. يبدو أن هذه زيارة ثانية أو حتى ثالثة لقبر المسيح. في زيارتها الأولى، التي حدثت "باكراً جداً"، اكتشفت، كما لاحظ القديس يوحنا الإنجيلي، أن "الحجر قد دُحرِج من القبر". ركضت إلى بطرس و "التلميذ الآخر الذي كان يسوع يحبه" وقالت لهما: "أَخَذُوا السَّيِّدَ مِنَ الْقَبْرِ، وَلَسْنَا نَعْلَمُ أَيْنَ وَضَعُوهُ!" (يو٢:٢٠).

يلاحظ القديس يوحنا من جديد، كان القبر "قريبًا" (٤٢:١٩). إلى هذا، كان هناك عدد من النساء اللواتي يحملن الطيوب. لم يذهبن إلى القبر مرة واحدة فقط، بل مرتين أو ثلاث مرات، كما توضح نصوص الإنجيل، يرافقن بعضهن البعض في مجموعات لم تكن دائمًا نفسَها. كما أن المجدلية ذهبت بنفسها.

لم يكن هدف الإنجيليين وصف قيامة المسيح بالتفصيل، بل إعلان هذا الحدث الإلهي. لم تكن الأناجيل روايات منهجية، لكنها كما يلاحظ الشهيد يوستينوس كانت "مذكرات" الرسول، أي ملاحظات حول حياة المسيح وتعليمه (Apologia I، 66، 3). في ختام إنجيله، كتب القديس يوحنا أن هناك العديد من الأشياء الأخرى التي صنعها المسيح، لو كُتبَت واحدة فواحدة، فلن يكون هناك مكان في العالم بأسره لاحتواء الكتب. لذلك يكتب كل من الإنجيليين الأربعة عن زيارة واحدة أو زيارتين إلى قبر المسيح للمرأة حاملة الطيب ويترك الباقي خارجًا.

ويترتب على ذلك أن الزيارة الأولى إلى قبر المسيح كانت زيارة سيدتنا والمجدلية، كما وصفها القديس متى: "وَبَعْدَ السَّبْتِ، عِنْدَ فَجْرِ أَوَّلِ الأُسْبُوعِ، جَاءَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَمَرْيَمُ الأُخْرَى لِتَنْظُرَا الْقَبْرَ. وَإِذَا زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ حَدَثَتْ، لأَنَّ مَلاَكَ الرَّبِّ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ وَجَاءَ وَدَحْرَجَ الْحَجَرَ عَنِ الْبَابِ، وَجَلَسَ عَلَيْهِ" (٢٨:١-٢). جميع النساء الأخريات حاملات الطيب جئن بعد الزلزال ووجدن الحجر مدحرجًا.

السيدة العذراء (التي هي "مريم الأخرى") كانت حاضرة في الزلزال وإزالة الحجر من القبر. ظهر لها الملاك قبل أي شخص آخر، وفتح قبر المسيح ووجّه إليها رسالة قيامة ابنها. هذه هي المرة الثانية التي يخاطبها فيها ملاك بهذه الطريقة، ويحدده القديس غريغوريوس بأنه رئيس الملائكة جبرائيل الذي ظهر لها في بشارتها الأولى.

كونها "فائقة الطهارة" و"ممتلئة نعمة" أحسّت السيدة العذراء بفرح عظيم لما حدث، في حين كانت المجدلية خائفة، كما لو أنها لم تفهم حقًا أيًا من الأحداث. كل ما استطاعت رؤيته هو فراغ القبر الذي ركضت لتخبر بطرس والتلميذ الآخر به [١].

لذلك كانت السيدة العذراء هي أول من رأى المسيح وتحدّث إليه. انفتح كل شيء في السماء والأرض أولاً لها ومن خلالها لنا [٢]. هي وحدها احتضنت قدميه المقدستين - على الرغم من أن الإنجيليين لم يذكروا هذا على وجه التحديد لأنهم لم يرغبوا في تقديمها كشاهدة على قيامة ابنها [٣]. من ناحية أخرى، مريم المجدلية، التي قابلت الرب في زيارتها التالية إلى القبر واعتقدت أنه البستاني، قال لها ألا تلمسه، بعدما كانت قد أدركت مَن هو وذهبت للسجود له. بدلاً من ذلك، أُرسِلت لإعلان البشارة للتلاميذ [٤].

ومن المثير للاهتمام أيضًا أن نلاحظ التحيات المختلفة التي وجهها السيد المسيح إلى النساء حاملات الطيب وتلاميذه. قال للنساء: "افرحن" ، وقال للتلاميذ السلام لكم [٥]. كان أول شيء تحتجنه النساء، بعد أن عانين من آلام الصلب، هو الفرح. وكان أول ما احتاجه التلاميذ، إذ كانوا قد اهتزوا من الخوف من اليهود، هو السلام.

السلام مرتبط مباشرة بالفرح. والفرح يفترض السلام. علاوة على ذلك، فإن الفرح والسلام، مع كل الفضائل المسيحية الأخرى، يشكلان ثمر الروح القدس الواحد غير المنقسم (انظر غلاطية ٢٢:٥). ما يعذب الناس ويلقي بهم في الاضطراب والقلق هو الموت. هذا هو السبب في أن أولئك الذين لم يتغلبوا على الخوف من الموت لا يستطيعون معرفة السلام. السلام الحقيقي ممكن فقط من خلال التحرر من الخوف من الموت. يفترض الفرح الحقيقي أيضًا أن نتحرر من هذا الخوف.

يؤكد المسيح أن السلام الذي يقدمه لنا يختلف عن السلام الدنيوي. سلام العالم تقليدي وهَشّ. إنه سلام يعمل "ضمن شروط" الفساد والموت. لهذا يميّز المسيح سلامه عن سلام العالم: "سَلاَمًا أَتْرُكُ لَكُمْ.

سَلاَمِي أُعْطِيكُمْ. لَيْسَ كَمَا يُعْطِي الْعَالَمُ أُعْطِيكُمْ أَنَا" (يو ١٤:٢٧). لكن أيضاً فرح المسيح ليس فرح العالم. إنه ليس تقليدياً ولا عابراً، لكنه راسخ وحصين. إنه فرح "كامل" لا يمكن لأحد أن يسلبه منا.

إن مجيئه إلى العالم هو بشارة الفرح والسلام. السلام والفرح الحقيقيان هما في التحليل الأخير استحقاقات الخليقة الجديدة. لهذا سميت السيدة العذراء، وهي أم الخليقة الجديدة، "علّة الفرح". لكن المصدر الحقيقي لهذا الفرح هو المسيح نفسه (أفسس ٢:١٤). وقيامته من بين الأموات هي تأكيد لفرحنا الثابت والسلام الدائم الذي يمنحنا إياه. أي بحث عن هذه الأشياء بعيدًا عن المسيح والسيدة العذراء هو بالكلية بلا معنى.

[١] أنظر يوحنا ٢:٢٠؛ غريغوريوس بالاماس العظة ١٠،١٨.

[٢] نفسه ١٨، ٨.

[٣] نفسه ١٨، ١٣.

[٤] يوحنا ١٧:٢٠.

[٥] "وللنسوة الحاملات الطيب قلت افرحن، ولرسلك وهبت السلام" قنداق الفصح.

لقاء المرأة السامرية

الأستاذ جورج مانتزاريذس

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

أي لقاء مع المسيح يدهش الناس. إن لم تندهش، يجب أن تسأل نفسك ما إذا كنت قد قابلتَ المسيح بالفعل وشعرت حقًا بحضوره. هذه الدهشة ليست غير قابلة للتفسير ولا سخيفة، بل هي مفهومة وعقلانية. إنها الأمر الذي يحدث عندما يلتقي الطبيعي بما فوق الطبيعي، يلتقي النسبي مع المطلَق ويلتقي العابر مع الأبدي.

عندما يلتقي الأشخاص الذين يغلب عليهم الخوف من الموت بربّ الحياة، وعندما يحدّق المخلوق في خالقه، تكون العلاقة غير متكافئة، وتحدث مفاجآت غير متوقعة. وتصبح هذه المفاجآت أكثر إثارة عندما يواضع الرب نفسه أمام خليقته ليخدمها. في الواقع، لا تقتصر المفاجآت هنا على الطبيعة العامة للأشياء، بل تمتدّ أيضًا إلى تفاصيلها الخاصة.

في اللقاء مع المرأة السامرية، المفاجأة الأولى هي الحوار الذي جرى بينهما بحد ذاته. يخاطب المسيح المرأة السامرية ويطلب بعض الماء ليشرب. هي تتفاجأ وتسأل: "كيف هذا وأنت يهودي تسألني عن ماء للشرب وأنا امرأة سامرية. ليس بين اليهود والسامريين معاملات".

المفاجأة مزدوجة لا بل مضاعفة. كيف يمكن أن يهودياً، يسوع، يخاطب شخصًا من السامرة؟ والأكثر من ذلك، لماذا يتحدث مع امرأة، خاصة صاحبة ماضٍ متقلب، وهو يعلم هذا جيدًا. وأخيرًا، كيف تكشف هذه المرأة الحقيقة الأكثر عمقًا للرسالة المسيانية؟

كل مفاجأة نمرّ بها هي دائمًا بسبب لقاء مع شيء جديد، أو بسبب إظهار واقع ما، أو شخصٍ ما ، أو بعض الحقائق التي لم نكن نعرفها حتى ذلك الحين. بعبارة أخرى، يرجع ذلك إلى نوع من الإعلان. وهذا أيضًا ما نلاحظه في حالة اللقاء الذي نتناوله.

المرأة السامرية متفاجئة بوجود يهودي يكسر حواجز عدم التواصل مع شعبها ويبدأ الحديث معها. يطلب منها بعض الماء ليشرب. قبل أن تصحو من هذه المفاجأة، تواجه مفاجأة أخرى، وحتّى أكبر. تسمع أن الشخص الذي طلب الماء قادر على تقديم "الماء الحي" بنفسه. لم تكن هذه المفاجأة بسبب أي إعلان جديد، بل بسبب الحيرة التي أثارتها في المرأة: "يا سيدي، ليس لديك دلو والبئر عميقة جدًا. من أين لك هذا الماء الحي؟"

"الماء الحي" يعني المياه الجارية. الماء في البئر لا يجري. لذلك هو ليس "ماء حياً". لكن هذا ليس ما يحيّر المرأة السامرية التي ما زالت تفكّر في ماء البئر. ليس في فكرها أي مياه جارية. وحتى لو كان

الأمر كذلك، فهي ما زالت لا تفهم ما كان يتحدث عنه المسيح. من ناحية أخرى، عندما قال "الماء الحي"، لم يقصد المسيح بعض الماء الجاري الذي يروّي العطش الجسدي لفترة قصيرة، بل الماء الذي يوجِد داخل الناس مصدرًا لا ينضب أبدًا للحياة الأبدية. الماء الذي يقضي على الموت.

اعتقدت المرأة السامرية أنها فهمت كلام المسيح وطلبت منه أن يمنحها هذا الماء السحري وذلك لتحريرها من مهمة جلب الماء المرهقة: "يا سيدي، أعطني هذا الماء، حتى لا أشعر بالعطش ولا أضطر إلى المجيء إلى هنا لحمل الماء". اعتقدت المرأة أنها وجدت حلاً سهلاً لمشكلتها. المسيح حدّثها عن الماء الذي ينبع في الناس ويصبح مصدر الحياة الأبدية. هي تخيّلت مياهًا طبيعية، تشربها مرة ثم لا تعود تشعر بالعطش مرة أخرى، ولا تحتاج إلى الذهاب إلى البئر للحصول على الماء.

طالما أن الناس يحصرون أنفسهم في الشؤون الدنيوية، فلن يتمكنوا من فهم الحقائق الأبدية المتسامية. يمكن أن يفاجأوا أو يصابوا بالحيرة أو يندهشوا وحتى أن يتوقعوا حلولاً سحرية. لكنهم يبقون محصورين في العالم المرئي، مقيَدين بالتّماس الجسدي المباشر. إنهم يتعاملون مع المشاكل اليومية الروتينية وعقولهم لا تذهب أبعد من ذلك. حواسهم الروحية لا تعمل. حتى لو سمعوا عن شيء يتجاوز الإحساس المباشر، شيء يتجاوز الأشياء الموجودة في هذا العالم، فإنهم يصوغونه من منظور الحواس وبطريقة دنيوية. فعلياً لديهم أسئلة، وهم يختبرون المفاجآت ويتلقون الإعلان، لكنهم لا يزالون يسلكون في المكان والزمان. إنهم يفكرون ويفهمون ويعيشون خاضعين لقانون الموت والفساد. إن الموت هو العقبة التي تعيق وتوقف كل فكر وفعل للناس، وكل مفاجأة يختبرونها أو إعلان يُمنَح لهم. لا إعلان ولا اختراع ولا فنّ ولا فلسفة تستطيع اختراق هذا الحاجز. كل ما هو معروف أو متاح لنا يكمن على "هذا الجانب" من تخوم الموت.

لا يكون تجاوز الموت بالمنطق أو الجدل ولا العلم ولا السحر. كل هذه تخدم أغراضاً دنيوية. تجاوز الموت يكون بمعجزة، بأعظم معجزة على الإطلاق أي القيامة. هذا هو السبب في أن قيامة المسيح هي أعمق إعلان، أو بشكل أكثر دقة، الإعلان الحقيقي الوحيد، لأنها تفتح لنا حقيقة جديدة تمامًا. هذا هو السبب في أن كل واحدة من معجزات المسيح هي علامة، أي سهم يدلّنا أبعد من ضواحي الموت والفساد، إلى القيامة والخلود.

كانت المرأة السامرية تتحدث إلى المسيح لكنها لم تفهم أساسًا ما كان يقوله. كان يتحدث على مستوى الحياة الأبدية. أما هي فقد نقلت تلقائيًا ما سمعته إلى مستوى هذه الحياة المؤقتة. لم يكن هناك نقطة التقاء. نشأت هذه النقطة من خلال "علامة"، أو معجزة، أعلنها لها المسيح حين قال: "اذهبي وادعي رجلك وهلمّ إلى ههنا". "أجابت المرأة وقالت : ليس لي رجل. قال لها يسوع: حسنا قلت: ليس لي رجل، لأنه كان لك خمسة رجال، والذي لك الآن ليس هو رجلك. هذا قلت بالصدق".

كلمات الرب نقلت المرأة السامرية إلى مستوى آخر. لقد قدمت لها فرصة جديدة لا تحددها الضرورة العقلانية. لقد عرضت عليها احتمالية الرؤية والصِلة التعامديتين. من بعدها تخلّت المرأة عن عقدة المياه الوجودية، أو بالأحرى نسيتها تمامًا، كما يتّضح من بقية الرواية، وطالبت بحلّ مشكلة أخرى، بها يتمّ التخلص من عطش آخر هو عطشها الماورائي.

قالت المرأة "يا سيد، أرى أنك نبي. آباؤنا سجدوا في هذا الجبل، وأنتم تقولون: إن في أورشليم الموضع الذي ينبغي أن يسجد فيه". فكان لها إعلان عظيم: "تأتي ساعة، وهي الآن، حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق، لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له". الله روح ومن يعبده يجب أن يعبد بالروح والحق. الناس يتغيرون عندما يؤمنون ويعبدون، عندما يؤمنون بالله ويعبدونه "بالروح والحق"، يصبحون أيضًا وإلى حدٍ ما مثله. يصبحون روحيين وثابتين.

هنا يقفز المعتقد الديني للمرأة إلى الواجهة فتقول "أعلم أن مسيا، الذي يقال له المسيح، يأتي. فمتى جاء ذاك يخبرنا بكل شيء". فقال لها المسيح "أنا الذي أكلمك هو".

هذا الإعلان الذي أُعطي للمرأة السامرية تزامن مع المفاجأة التي اختبرها تلاميذ المسيح الذين وصلوا إلى هناك في تلك اللحظة، فكانوا في حيرة من سبب تحدث معلمهم مع هذه المرأة. وكانت مفاجأتهم هذه "علامة" مفيدة. لقد كانت إعدادًا من شأنه أن يساعدهم على فهم أن الإنجيل الذي يجب أن يكرزوا به يتجاوز الحدود العرقية والاجتماعية والدينية الضيّقة.

كلما ازداد تكرّس الناس لاهتمامات هذه الحياة، يزيد ارتباطهم بأشياء هذا العالم ونسيان احتياجاتهم الأكثر عمقًا. لكن عندما يُثار قلقهم الروحي العميق، لأي سبب كان، ويدركون أن هناك جواب على السؤال الوجودي المنسي والمنبوذ من قلوبهم في كثير من الأحيان، فإنهم ينسون احتياجاتهم اليومية ويطّرحون اهتماماتهم الدنيوية.

"تركت المرأة جرتها ومضت إلى المدينة وقالت للناس هلموا انظروا إنسانا قال لي كل ما فعلت. ألعل هذا هو المسيح". من الواضح أن المرأة نفسها كانت قد اقتنعت بأنه المسيح المنتظر، لأن هذا ما أتت لتخبر به الناس في بلدتها. أرادت أن تشاركهم فرحتها الكبيرة. لكنها، بكونها بشرية، ربما أرادت أيضًا أن يؤكّد الآخرون تحقق انتظارهم المشترك. وترافق تأكيدها مع التجربة التي حصلت لأبناء بلدها من لقائهم بالمسيح. الفرحة المشتركة هي فرحة مضاعفة. الفرح الذي يخصّ الجميع وكل واحد. "إننا لسنا بعد بسبب كلامك نؤمن، لأننا نحن قد سمعنا ونعلم أن هذا هو بالحقيقة المسيح مخلص العالم".

لا يعتمد الإيمان الحقيقي على الأنباء أو المعلومات بل على الخبرة الشخصية. يقول كاتب المزامير: " ذوقوا وانظروا ما أطيب الربّ". "تعال وانظر"، هكذا قال فيليبس لنثنائيل. يقول آباء الكنيسة، ما لم

ترَ الله في حياتك، فلا تتوقعْ رؤيته بعد أن تموت. فهنا يتمّ ضبط مستقبلاتنا الروحية لاستقبال الله وإدراك ثروات ملكوته.

في هذه الأيام، بشكل خاص، أغلق الناس أجهزة استقبالهم الروحية وصاروا معزولين بالمطلق عن الواقع الروحي. بشكل عام، لم يعد شيء يفاجئهم، لا شيء في حياتهم اليومية، لأنهم جعلوا حياتهم تسير كالآلات وحوّلوها إلى روتين يخدّر العقل. وكما أن تحوّل القداس الإلهي والخِدَم التي يقيمها الكاهن إلى عادةٍ عنده هو كارثة، كذلك تكون كارثة لكل شخص أن يعتاد على حياته اليومية لدرجة أن يصير غير مبالٍ بالفرص والمفاجآت التي تُعرَض عليه.

حياة الإنسان مهمّة تدوم ما دمنا هنا. وهي مليئة بالمفاجآت الصغيرة والعظيمة، الإيجابية والسلبية. الأشياء الإيجابية غالبًا ما نراها بشكل سلبي، والأخرى السلبية يمكن أن نراها ونختبرها بشكل إيجابي. يمكن لأي شخص يحتفظ بـ "الماء الحي" الذي انسكب عليه في المعمودية أن يختبر روتينه اليومي على نحوٍ خلّاق، مع كل المفاجآت الإيجابية والسلبية، مروّياً ظمأه بـ "الماء الحي"، مستوعِباً حقيقة الحياة الأبدية ومعطياً معنى ومادة حتّى للفناء.

Source: Ορθόδοξη Μαρτυρία, όχι. 98, Φεβρουάριος 2012, σελ. 30-4.

جَلَد المخلّع ومعنى الحياة

الميتروبوليت أوغسطينوس كانتيوتيس

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

"وَكَانَ هُنَاكَ إِنْسَانٌ بِهِ مَرَضٌ مُنْذُ ثَمَانٍ وَثَلاَثِينَ سَنَةً."

السؤال المطروح أيها الأحباء هو ما هي الحياة؟ أهي متعة؟ أهي تسلية؟ أهي رقص ومرح؟ هل هي "فلنأكل ونشرب لأننا نموت غداً"؟ الكثير من الناس يفكّرون بهذه الطريقة، وخاصة شباب عصرنا، الذين تجرفهم الأفكار المادية والإلحادية ويعتقدون أن السنوات القليلة التي سيعيشونها على هذا الكوكب يجب أن يعيشوها بسعادة وبأكبر قدر ممكن من المتعة. إن العبارة الإيطالية دولتشي فيتا والتي تعني "الحياة الحلوة" ، هي لديهم بمثابة شِعار. بالنسبة لهم، الحياة الحلوة تعني العيش ليلًا ونهارًا في مراكز التسلية المختلفة والرقص بعنف وغناء الأغاني الفاحشة والانخراط في السلوك الصاخب وتعاطي المخدرات لتحقيق جنّة كيميائية من المتعة لبضع ساعات. بمجرد مرور تلك الساعات يقع هؤلاء البؤساء في حالة رهيبة من الإحباط والكآبة.

أما بالنسبة للذين يتفحّصون الأشياء بشكل أعمق ويفكّرون فلسفيًا، فإن للحياة معنى أكبر. حياة الفضيلة والالتزام ليست طريقاً ممهداً سلِساً مع مناظر طبيعية وشجيرات وأزهار يستمتع بها سائقو السيارات العابرة؛ إنها تشبه الطريق الضيق والتلال، حيث يواجه سائقو السيارات العديد من العقبات والمآسي والمحن. كما يلاحظ أيوب، فإن حياة الإنسان هي تجربة. وما هي التجربة؟ إنها حياة مليئة بالإغراءات والأحزان والضيقات. كما يخرج الذهب من أعماق الأرض نجسًا ويُلقى في أتون النار حيث تُحرق كل العناصر التي لا قيمة لها ويصبح الذهب نقيًا، بنفس الطريقة يجب أن يعبر الإنسان عِبر أتون الضيق والإغراء الناري حتى يتطهر من عيوبه ورذائله وأهوائه.

ومع ذلك، كان هناك وقت لم يكن فيه الإنسان بحاجة إلى التطهر. كان طاهرًا ونظيفًا. متى؟ عندما عاش بالقرب من الله في الفردوس. ولكن عندما أخطأ الإنسان، لوّثت الخطيئة عالم روحه، وأصبح مليئًا بالشرور والعيوب، كالذهب النجس الذي يحتاج إلى التطهير والتنقية. منذ ذلك الحين، بعد سقوط الإنسان الأول، بدأت الآلام والأحزان والتجارب. الأرض التي كانت نقية وعطِرة برائحة الزهور الجميلة، صارت بريّة وبدأت تخرِج الأشواك. لاقتلاع الأشواك وجعل الأرض منتجة، كان على الإنسان أن يُدْمِي يديه. صارت الحيوانات المروّضة بريّة وتحولت إلى وحوش يخيف زئيرها الإنسان. امتلأت الأنهار وفاضت، مما تسبب بفيضانات وكوارث. بدأت الأرض تهتز بفعل الزلازل المخيفة. الإنسان أيضًا، الذي كان في يوم من الأيام سليمًا وخالدًا، أصيب بالمرض والألم والموت بسبب الخطيئة.

ثم جاءت الآلام إلى الإنسان من تقلبات عناصر الطبيعة ومن الزلازل والفيضانات. جاءت الآلام من المرض والموت كما جاءت من الإنسان نفسه. كانت هذه الأعظم. أصعب الآلام احتمالاً هي تلك التي تأتي من الأصدقاء والأقارب الذين بسبب الشر الذي بداخلهم يسكبون البلاء كالسم. بسبب هذا الشر المتأتي من الإخوة، عانى الإنسان من ويلات كثيرة وعظيمة: الظلم والسرقة وإهانة شرف العائلة والفسق والزنا والأكاذيب والاغتياب والافتراء والجراح والقتل والجرائم والحروب المرعبة التي تحوّل الأرض محنة لا نهاية لها، كل هذه تشكّل منجماً عظيماً من البلاء للإنسان.

أينما ذهب الإنسان يواجه آلامًا، أحيانًا من عناصر الطبيعة، وأحيانًا من شر وحقد إخوانه، وأحيانًا من نفسه. تأتي بعض الآلام من الشيطان الذي يحاول إبادة الإنسان. أخيرًا، تأتي بعض الآلام من الله كلي القدرة والخير والحكيم بهدف تطهير البشرية الخاطئة.

يسافر الإنسان في محيط من الأحزان. هذا أكده المسيح بقوله "في العالم سيكون لكم ضيق. ولكن ثقوا فقد غلبت العالم" (يوحنا ٣٣:١٦). لم يكن، ولا يوجد، ولن يكون هناك إنسان معفىً من مواجهة البلاء. إذا وُجِدت جزيرة غير محاطة بالماء يوجد رجل لن تؤلمه الأحزان.

المشكلة هي كيف يواجه الإنسان البلاء؟ كثيرون من الناس يمجدون الله عندما يكونون أصحاء ومحافظهم ممتلئة وأولادهم ناجحين وحياتهم تسير كما يخططون. ولكن عندما يقطع الضيق الطمأنينة يفقدون رباطة جأشهم ويلعنون يوم ولادتهم. يصبح البعض يائسًا لدرجة أنه ينهي حياته بالانتحار.

أيها الرجل المُبتلى في هذه الدنيا! عليك أن تتسلح بالصبر لتتغلب على الأسى. لاقتناء الصبر عليك أن تفتح الكتاب المقدس وأن تقرأ ما يقوله عن الضيق والغاية التي يخدمها؛ اقرأ عن تلك الأمثلة الرائعة عن الصبر. في الكتاب المقدس أمثلة كثيرة عن الصبر. أحد الأمثلة على ذلك هو هذا المخلّع في قراءة إنجيل هذا الأحد. إنه بطل أعظم من المنتصرين في ساحات القتال وحائزي أوسمة الشجاعة.

لنتأمّل قليلاً في حياة هذا البطل. لقد عاش في محيط من الآلام. ليس أيامًا ولا أسابيع ولا بضع سنوات وحسب، بل كان مريضًا طوال ثمانية وثلاثين عامًا، وهو مشلول تمامًا. ومع ذلك لم يئِخ ولم يجدّف ولم يشتم يوم ولادته. بصبر يذكّر بصبر أيوب، قضى أيام بلائه مؤمناً بأن الله لم يتركه، بل سيظهِر له رحمتَه في يوم من الأيام. وقد أظهر الله رحمته. جاء بنفسه، يسوع المسيح الإله الحقيقي، وشفى المخلّع. كل الذين رأوا اندهشوا من هذه المعجزة. في ذلك اليوم، المخلّع بطل الصبر، نال من المسيح الضابط الكل جائزة الصبر.

عسى أن يُكافأ كل منا على الصبر، رجالاً ونساءً وكل مَن يعانون من الآلام بيننا. ولكي نتحمّل، فلنفكّر في أبطال الصبر أمثال المخلّع وخاصةَ ملك الألم والحزن ربنا يسوع المسيح، الذي قال: "في العالم سيكون لديك ضيق؛ ولكن افرحوا قد غلبت العالم."

* عظة في أحد المخلّع حول يوحنا ٥:١-١٥

Source: “Drops From the Living Water: Orthodox Homilies On the Sunday Gospel Readings” by Augoustinos N. Kantiotis; Transl. & Fwd by Rev. Dr. Asterios Gerostergios. Institute for Byzantine and Modern Greek Studies, 1992. pp. 60-64.

عيد نصف الخمسين

الأب سارافيم روز

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

قد تكون، بالنسبة للكثيرين منا، الأسابيع التي تلي عيد قيامة ربنا يسوع المسيح اللامع، وقتاً للاسترخاء وحتى للتَرَف. فقد انتهت صرامة الصوم، فالجسد يعربد بينما الروح تضعف. ولكن إذا كان الأمر للأسف كذلك، فهذا خطؤنا وليس خطأ الكنيسة المقدسة؛ فهي لا تتوقف أبدًا عن جذب أذهاننا إلى الأعلى وإرشادنا إلى الأفكار والأفعال المناسبة للمسيحيين الأرثوذكسيين في هذا الموسم المقدس.

لكل أحدٍ بعد الفصح اسم خاص مأخوذ من قراءة الإنجيل المحددة؛ بين عيد الفصح والصعود، توجد آحاد توما وحاملات الطيب والمخلّع والمرأة السامرية والرجل الأعمى. كما هناك عيد مميز آخر عادةً لا يحظى باهتمام كبير وهو يقع يوم الأربعاء من الأسبوع الرابع بعد عيد الفصح ويسمَى "نصف الخمسين". هذا العيد يحيي ذكرى حدث من حياة المخلص، حين، في منتصف عيد المظال بحسب العهد القديم، علّم في الهيكل عن كونه مرسَلاً من الله وعن الماء الحي في الروح القدس الموهوب لكل الذي يتعطشون إليه (يوحنا ٧:١٤-٣٩).

يحتفل المسيحيون الأرثوذكس بهذا العيد بالضبط في منتصف الطريق بين عيد الفصح وعيد العنصرة ويقوم كحلقة وصل بينهما. إنه استمرار للاحتفال بقيامة ربنا، وتأكيد لطبيعته الإلهية ومجده إذ لم يكن خليقاً بأحد غير الله أن ينتصر على الموت. وفي نفس الوقت هو يذكّرنا باقتراب نزول الروح القدس ويجهّزنا لذلك، ويعلّمنا أن نجد في المسيح إلهنا مصدر الحياة والنعمة، لأنه هو الذي يرسل الروح القدس (يوحنا ١٦:٧)، لكي نصبح أنفسنا لا مجرد متلقّين، بل حتى موزّعين من مواهب الروح القدس: " مَنْ آمَنَ بِي، كَمَا قَالَ الْكِتَابُ، تَجْرِي مِنْ بَطْنِهِ أَنْهَارُ مَاءٍ حَيٍّ" (يوحنا ٧:٣٨).

الإيمان أصبح ضعيفًا في أيامنا هذه، وقلّة هم الذين يلتزمون بهذا التعليم: ولكن حتى بالنسبة للأضعف، هناك درس واحد على الأقل يمكن تعلّمه من تعليم عيد الخمسين هذا: إنه العطش. حتى عندما نتمتّع بخيرات هذه الأرض المتاحة لنا في هذا الموسم المبهج، يجب أن نعطش لما فوق الأرض،

للروح القدس الذي ننتظره حتى ونحن نتمتع بحضور الربّ القائم بيننا. لهذا نـرنم في طروبارية العيـد: "في انتصافِ العيدِ اسِقِ نفسي العَطشى، من مياهِ العِبادَةِ الحسَنةِ أيُّها المُخلّص. لأنَّكَ هَتَفتَ نحـو الكـلِّ قائلاً: منْ كان عطشانًا فليأت إلَيَّ ويَشرَب. فيا يَنْبوعَ الحياةِ أيُّها المسيحُ الإلهُ المجدُ لك."

* عظة ألقاها الأب سيرافيم روز وكان لا يزال علمانياً في ايار ١٩٦٥.

https://orthochristian.com/79119.html

عظة في أحد الأعمى

الأرشمندريت تيخن تشيفكونوف

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

المسيح قام!

إن لرواية شفاء الأعمى اليوم أهمية خاصة لنا ولجيلنا. عندما سار المخلص بالقرب من الأعمى الذي كان معروفًا في جميع أنحاء أورشليم، لم يسأله شيئًا ولا حتى عن إيمانه. مرّ به وشفاه فصار الأعمى رجلاً يرى. بدأ الفريسيون باستجوابه وسألوه مَن الذي عمل هذا الخير العظيم له، وهو شيء كانوا هم أنفسهم عاجزين عن القيام به. راحوا يوبّخون الرجل وادانوا المخلص لأنّ إنجازه هذا العمل العظيم كان في يوم الرب أي السبت. لم يعثر الفريسيون على كلمة واحدة لدحض الحق الذي أشرق أمامهم متألّقاً في هذه المعجزة غير المسبوقة، ومع ذلك لم يتمكنوا من كبح جماح أنفسهم، وفي حسدهم وغضبهم جدّفوا على الله والروح القدس.

يتساءل البعض "ما هو التجديف على الروح القدس؟" هذه الخطيئة الرهيبة موصوفة في إنجيل اليوم: يرى الفريسيون قوة الله تتجلّى في شفاء الإنسان الأعمى منذ ولادته، لكنهم مع ذلك ينكرون هذه القوة بعناد. يقولون ساخرين أعطوا مجداً لله، نحن نعلم أن هذا الرجل خاطئ. ولكن الرجل الذي شُفي يقول: "نَعْلَمُ أَنَّ اللهَ لاَ يَسْمَعُ لِلْخُطَاةِ. وَلكِنْ إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَتَّقِي اللهَ وَيَفْعَلُ مَشِيئَتَهُ، فَلِهذَا يَسْمَعُ.مُنذُ الدَّهْرِ لَمْ يُسْمَعْ أَنَّ أَحَدًا فَتَحَ عَيْنَيْ مَوْلُودٍ أَعْمَى. لَوْ لَمْ يَكُنْ هذَا مِنَ اللهِ لَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَفْعَلَ شَيْئًا".فأخرجه الفريسيون من المجمع وفصلوه عن مجتمع بني إسرائيل. لقد حُرم من جميع الحقوق. منذ ذلك الوقت، بحسب الشريعة اليهودية، لم يعد ممكناً لأحد أن يتعامل معه أو يساعده أو يعيش معه. حتى والدته ووالده تبرآ منه.

"أَبِي وَأُمِّي قَدْ تَرَكَانِي وَالرَّبُّ يَضُمُّنِي." (مزمور ١٠:٢٧)... في تلك اللحظة بالذات وجده المخلص بنفسه وقال له: أتؤمن بابن الله؟ الذي أبصر سأل: "من هو يا رب لأؤمن به؟" فقال له المخلص شيئًا مشابهًا جدًا لما قاله للمرأة السامرية الأسبوع الماضي: "لقد رأيتماه كلاكما، وهو الذي يتحدث معك." لم يحتَج الرجل المولود أعمى إلى دليل آخر. فسجد له كإلهِ وقال "أؤمن يا رب."

ليس من باب المصادفة أن الكنيسة المقدسة شددت قبل أسبوع على نفس إعلان المخلص لمرأة سامرية خاطئة لكن نقيةَ القلب. فكلاهما بحسب الأناجيل رأيا الله.

نحن كلنا جيل من الناس الذين ولدوا مكفوفين. غالبية جيلنا وُلِدوا خارج الإيمان بالرب. بحسب خطة قديمة، كان ينبغي أن تظل أعيننا الروحية مغلقةً حتى موتنا وأن الملايين والمليارات من الناس

يذهبون إلى الأبد دون معرفة الله، أو أرواحهم، أو حتى العالم الروحي نفسه. كل شيء كان مرتّباً للتأكد من أننا، المولودون مكفوفين من أبوين ولدا أعميان بشكل أو بآخر، نبقى على هذا النحو إلى الأبد.

لكن الله صنع لنا معجزة. دون أن يسألنا عمّا إذا كنا نؤمن أم لا، دون أن يعذّبنا هذا السؤال، بل على العكس من ذلك مع العلم أن هذا الإيمان لم يكن فينا، مَسَحنا الرب بالطين والأحزان كما بالميرون المقدس، وملايين من الناس يشفَون إذ تنفتح عيونهم الروحية.

إن معاصرينا، وهم مكفوفين شُفيوا، شابهوا الرجل الأعمى منذ ولادته إذ يتعرضون لمحاكمات صعبة واستجوابات واستهزاء من قِبَل فريسيي هذا العصر، وينقطع الكثير منا عن مجتمع أصدقائه وأقاربه. ما حدث للرجل الأعمى منذ ولادته في الأناجيل يحدث لكثيرين منا أيضًا.

لكن لماذا شفى المخلص هذا الرجل على وجه الخصوص؟ لماذا ظهرت معجزة الله في هذا الشخص بالذات، وليس في كل الحشد من الناس الواقفين بالقرب منه، الذين كانوا بائسين أو مصابين أو مرضى؟ قبل أسبوعين قرأنا في الأناجيل كيف أن المخلّص شفى المخلع. كان ذلك الرجل متعطشًا وكان يأمل بالشفاء على مدار ثمانية وثلاثين عامًا. لكن الأعمى منذ ولادته لم يكن لديه حتّى إيمان، لأنه لم يكن يعرف بمَن يؤمن. ببساطة، هو لم يستطع رؤية الرب؛ لم يرَ الذي قال له اذهب اغتسل في بركة سلوام. كشف المخلّص لاهوته لهذا الرجل بالذات، لأنه رأى مسبَقاً اعترافه الشجاع أمام أعداء الحق، أعداء الله.

ومع ذلك، لماذا شُفي رجل واحد ولا أحد غيره؟ لماذا مرّ المخلص بحشد البائسين والفقراء والمقعَدين والمفلوجين، فأخذ واحدًا منهم وشفاه؟ لماذا، من بين الملايين والمليارات من المولودين عميان، ليس سوى قطيع صغير يكتسب بصره روحياً؟ لماذا، من بين مئات الدول المختلفة التي تعيش في العالم، لا يعترف سوى عدد قليل منهم بالإيمان الأرثوذكسي الخلاصي؟

إنسانياً، هذا ليس عدلاً. إذا تكلمنا بشرياً نتساءل ما الذي يجعل العميان الآخرين أسوأ من هذا؟ ما الذي جعل المصابين الآخرين الملقيين بجانب بركة سلوام أسوأ من ذلك المخلّع الذي شُفي؟ لماذا أنت وأنا (وكلٌّ منّا يعرف بقلة استحقاقه) أفضل من الملايين من إخوتنا وأخواتنا في هذا العالم، الذين لم يستنيروا بنور الإيمان؟

حتى أثناء حياة المخلّص الأرضية، عندما سار على الأرض، لم يختَر من بين كثيرين إلا الذين انتقاهم. نفس الشيء يحدث الآن. حتى من بين كل هذه الأمم معًا، يختار الرب فقط أولئك الذين يراهم مناسبين. فمَن هم بالنهاية الذين يختارهم المخلّص؟

قبل آلامه، في العشاء الأخير، قال لتلاميذه "أنا اخترتكم من العالم (يوحنا ١٩:١٥). لاحقًا، في صلاته الكهنوتية، قال للآب "أَيُّهَا الآبُ الْقُدُّوسُ، احْفَظْهُمْ فِي اسْمِكَ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي" (يوحنا ١١:١٧).َمن

هؤلاء؟ الأثرياء والعظماء؟ بالطبع لا. فقط الفقراء؟ مجدداً، لا. كان من بين مختاري الله أناس من كل الطبقات. أو ربما كانوا أناسًا أغنياء بشيء آخر، كالعقل والحكمة؟ لا شيء من هذا القبيل. كان هناك أشخاص حكماء أدركوا ضعف عقولهم، وكان هناك أميين تمامًا، وحتى متبالهين، قديسين كُشفَت لهم إعلانات غير عادية وغير مُتوقّعة. ربما كان هؤلاء أغنياء بالخطايا، لأن الرب أُرسِل ليخلّص الخطأة؟ لكننا نعلم أن الجميع خطأة أمام الله. أو ربما كان هؤلاء أغنياء في الإيمان؟ نعم، لقد طلب الرب إيمان البشر. لكنه شفى الرجل الأعمى منذ ولادته دون إيمان الأخير. لقد شفى الرجل المفلوج الذي دُلّي من سقف البيت بعد كسره وأُنزِل أمامه (راجع مرقس ٢)، فقط بسبب إيمان أولئك الذين أتوا به. لكننا نعلم أيضًا أن الشياطين تؤمن وترتعد... فمَن يختار الرب لميراثه؟

يقول الرسول في إحدى رسائله " أَحْيَا لاَ أَنَا، بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ" (غلاطية ٢:٢٠). هؤلاء هم الذين يختارهم المخلص: الذين يستطيعون أن ينكروا أنفسهم ويصيروا مسكناً لله.

برعاية الله السرّية للبشرية، يتمّ اختيار هؤلاء الأشخاص فقط، على الرغم من أنهم قد يكونون ضعيفي القلوب كالمخلّع الذي خان المخلص قبل أسبوعين. حتى أنه يمكن أن يقول، ولو لمرة واحدة فقط في حياته ، "انظروا، المسيح يحيا فيَّ." كان من الممكن أن يصبح هيكلاً لله. كان يهوذا أيضًا هيكلًا لله في وقت من الأوقات! لكن الله سوف يسلِم الذين يفسدون هيكل الله للفساد...

أحيا، لا أنا بل المسيح يحيا فيّ. كلّ مَن اختاره الله يمكنه أن يقول الشيء نفسه. لقد أُبعِد الإنسان القديم ووُلِد المسيح فيه. لكن طريقة عيش المسيح فينا ليست على الإطلاق مجرد تكهنات، أي ليس فقط في أذهاننا. هناك العديد من المسيحيين المؤمنين بالمسيح في أذهانهم: البروتستانت والكاثوليك والذين يقولون ببساطة: نعم أنا أؤمن بالمسيح لكنني لا أنتمي إلى الكنيسة. هناك أناس يتفلسفون عن المسيح، ويضعون افتراضات خيالية عنه، ويريدون أن يسمعوا عنه؛ ولكن ليست فيهم حياة المسيح. هم خارج جسد المسيح، خارج كنيسته. لذلك، من الواضح أن كثيرين من الذين سمعوا عن المسيح يعيشون خارج جسده، خارج ألوهيته.

بالطبع، نحن لا نتكلّم عن هذا لكي نشعر بالفخر. تتحدث الكنيسة المقدسة عن المختارين على أنهم رحمة الله العظمى تجاه الأشرار، وفي هذا مسؤولية كبيرة. فالمختارون، للأسف، يمكن أن يكونوا مثل يهوذا أيضًا؛ الذين عاش فيهم المسيح مرة يمكن أن يرتدّوا ويخونوا ويصلبوا مخلصَهم فيما بعد.

إن اكتسابنا للبصر يتمثّل في أن نبدأ نرى أنفسنا مملوءين بالخطايا وقادرين على كل شر وخيانة. إن اكتساب البصر يتمثّل في رؤيتنا للعالم كما هو حقًا: مطروحاً في الشر. إن اكتسابنا للبصر يتمثل في أن نبدأ نرى ونقدّر رحمة الله العظيمة نحونا ونحو جميع البشرية العمياء في هذا العالم. أما إن لم نكن

نرى كل هذا، فمعناه أننا نعتقد فقط أننا نراه بينما في الحقيقة ما زلنا في عمانا الذي لا ينقذنا منه إلا الرب!

المسيح قام.